محاضرات في الأدب الإسلامي

المحاضرة الأولى : الأدب والعقيدة.

1- بين الأدب والفن والدين.

الأدب لون من ألوان الفنون ، بل هو أهم ألوان الفنون على الإطلاق، وتتجلى مهارة الفنان وحَذْقِه عندما ينتج من الكلمات معرضا للصور الفنية، ويَدَع عاطفتَه المتحفزة ، وإحساسَه المرهفَ يعملان في هذا المعرض ، ويُفْسِحُ المجال لخياله أن يجوب الآفاق الجميلة.[1]

وإذا كان الفن - كما رأينا من خلال الدلالة اللغوية التي تحملها الكلمة - هو المعالجة البارعة بحذق ومهارة وجمال ؛ فهو في الأدب« جودة العرض وحسن السبك وجمال الأسلوب وقوة العاطفة ونشاط الخيال».[2]

كما أنَّ الفن ليس إنتاجا للجمال في أي عمل فني ، وإنما هو إظهار لوجوده وكشف الستار عنه، وعرضه أمام الناظرين يتذوقونه أو يتملونه ، والمعيار الذي يمكن به التعرف إلى وجود الفن ، وإدراك قيمته يرجع إلى التأثر الوجداني ، فالوجدان هو المسرح الذي يتم به إدراك الفن، وتذوّق الجمال، وعلى قدر ما في أشخاص الفنانين والأدباء من إرهاف وجداني وإحساس عاطفي؛ يكون استعدادهم لتقبل بواعث الجمال والاستجابة لها.[3]

وللفن قيمة جمالية ؛ ذلك أنه شيء فطري في النفس الإنسانية ، محبته مزروعة بداخلها ، والميل إليه شيء أصيل فيها ، فالنفوس الإنسانية السوية تواقة إليه محبة له، أما التي لا تهتز للفن وما يحتويه من جمال وجلال فيها علة ، وعليها ران يحجب عنها تذوق الفن ، هذا وللفن قيمة اجتماعية أو اقتصادية فسوف يبدوا لنا الفن مهما كان لونه على أنه لون من الترف أو الضرب من التسلية، أما إذا نظرنا إليه من زاوية فنية جمالية فسنعتبره حقيقة أساسية من حقائق الوجود والحياة.[4]

يعتبر المفكر الإسلامي علي عزت بيكوفيتش أن الدين والفن يشتركان في القضية نفسها، قضية الإلهام الإنساني المعبر عنها بطرق مختلفة، فالدين يؤكد على الخلود والمطلق، وتؤكد الأخلاق على الخير والحرية، ويؤكد الفن على الإنسان والخلق، وهي كلها في أساسها نواح مختلفة لحقيقة جوانية واحدة يتم التعبير عنها بلغة قد تكون قاصرة في إيصال المعاني، لكنها اللغة الوحيدة المتاحة. كما يوضح أن الدين والفن يشتركان في الوحدة المبدئية لجذورهما. فالدراما ذات أصل ديني، سواء من ناحية الموضوع، أو من ناحية التاريخ. كانت المعابد هي المسارح الأولى بممثليها وملابسها ومشاهديها. وكانت أوائل المسرحيات الدرامية طقوسا ظهرت في معابد مصر القديمة منذ أربعة آلاف سنة مضت. كما بلغ المعمار- في جميع الثقافات- أعظم إلهاماته في بناء المعابد. ينطبق هذا على السواء على المعابد في الهند القديمة وكمبوديا، كما ينطبق على المساجد في أنحاء العالم الإسلامي، وعلى المعابد التي وجدت في غابات أمريكا قبل وصول كولومبوس، وكذا كنائس القرن العشرين في أنحاء أوروبا وأمريكا. أما الرسم والنحت والموسيقى، فإن ارتباطهم بالدين أوضح، فتكاد الأعمال الفنية الكبرى لعصر النهضة تقتصر في تناولها على الموضوعات الدينية بلا استثناء. وقد وجدت هذه الأعمال ترحيبا أبويا في الكنائس في جميع أنحاء أوروبا. حتى لا تكاد توجد كنيسة في إيطاليا أو في هولندا لا تعتبر متحفا في الآن نفسه.

وقد أبدع أعظم مؤلفين للموسيقى في القرن العشرين وهما: "دبوسي" و"استرافنسكي" موسيقاهما في موضوعات دينية. ألف "دبوسي" القديس سباستيان الشهيد، كما ألف "استرافنسكي" سمفونية المزامير والقداس. وصور "شاجال" لوحاته الخمس عشرة الرئيسية في موضوعات دينية. إن ما يخبرنا به الفن والطريقة التي يخبرنا بها شيء يفوق قدرتنا على التصديق، كأننا بإزاء رسالة دينية. فاللوحة الفنية هي بشكل ما نوع من أنواع الشعائر مرسومة على قماش، كما أن السمفونية شعيرة لحنية.

وعليه ، يرتبط الفن والدين بعلاقة عضوية لدرجة أنه لا يتصور دين بلا فن، فالحياة الدينية في كل الثقافات تغتني بالتعبيرات الفنية والأدبية في ممارسة الشعائر، وتقديم القرابين، والاحتفالات. الدين والفن بحسب وصف الدكتور حسن

---

(1)- نظرية التصوير الفني عند سيد قطب ، صلاح عبد الفتاح الخالدي ، ص79.
(2)- المرجع نفسه ، ص 79.
(3)- المرجع نفسه ، ص 79.
(4)- المرجع نفسه ، 79.

الترابي يرتبطان بعلاقة حميمة نظرا لأن كليهما يتعامل مع الرمزي في الحياة، وبالتالي فكلاهما تجسيد للثقافي والتركيبي عند الإنسان، وابتعاد عن الغرائزي والطبيعي.

الدين كما الفن، تجربة روحية يبحث فيها الإنسان عن المطلق، وينشد فيها الخير والحرية والمحبة والسلام، تجربة شخصية أصيلة روحانية متفردة، تتطلب الإخلاص والصدق ووهج الروح وإحساسها الجميل بالمعنى. خبرات جوانية تحتضن نبل الإنسان، أشواقه ورغباته، وتطلعه للتطهر والوصول إلى الحقيقة، محتواها النهائي هو الإنسانية الخالصة.

لم تكن الحياة الدينية الإسلامية استثناء من هذه العلاقة، فقد أخذت التعبيرات الفنية المرتبطة بالدين الإسلامي مسارات متنوعة ارتبطت بظهور وازدهار بعض الفنون، كفن الخط العربي الذي نقل الكتابة من وسيلة لنقل المعنى إلى وسيلة وغاية في الآن نفسه، فتحولت الكتابة إلى صورة اتخذت من الأبجدية وحروفها وسيلة لارتكاز اللوحة والصورة وإبداع المعنى جماليا في ضوء الشكل. فظهرت مدارس الخط وفنونه المختلفة التي حافظت على تميز الهوية الإسلامية، ونقلت إلى العين الإنسانية متعة جمالية خالصة.

ومن الفنون التي صاحبت الحياة الإسلامية فن تجويد القرآن الذي يعتبر نموذجا أوليا للفنون السمعية، حيث إن التمكن من تجويده يعطي الموسيقي أسرار الموسيقى العربية، وليس من قبيل المصادفة أن نجد أساطين المغنيين والموسيقيين قديما وحديثا قد حفظوا القرآن وجودوه واستفادوا من ذلك، ومنهم على سبيل المثال لا الحصر من العصر الحديث قيثارة الغناء العربي السيدة أم كلثوم والشيوخ أبو العلا محمد وسيد درويش وزكريا أحمد وسيد مكاوي وغيرهم. ومن الفنون التي التصقت بحضارة الإسلام كذلك فنون زخرفة المساجد التي توسلت الأبجدية والأشكال الهندسية وتوزعت بانسجام على الأعمدة والأقواس، والقباب، والنوافير والجدران والمآذن، وتوزعت في أصقاع الأرض من شامية ومصرية وأندلسية وتركية وهندية، ممتصة أشكال الجمال الموروثة في العمارة في هذه البيئة أو تلك لتشكل ميراثا إنسانيا يخاطب البصر والوجدان، ولتجعل من أماكن العبادة صروحا جمالية. ومن الفنون التي ارتبطت بالعبادة الإسلامية الرقص الصوفي الذي يلعب عند الدراويش المولوية دورا هاما كوسيلة من وسائل التقرب إلى الله تعالى، حيث ابتدع رقصتهم المشهورة باسم "السما" الشاعر الصوفي الشهير جلال الدين الرومي.

إذا كانت هذه شواهد على اهتمام الإسلام بالتربية الجمالية والذائقة الفنية في الإنسان ليدوم سعيه لاكتشاف ما أودعه الله من جمال في الكون وليعيد إنتاج مظاهر الزينة في الوجود

وعليه فإنّ:

- الفن حاجة إنسانية روحية لا تحتاج إلى أي تبرير أو إثبات من خارجها. الفن حاجة وليس ترفا. يمكن أن نقول نفس الكلام عن الدين بمعنى "الإيمان". إذ لا يستغني الإنسان، أي إنسان، عن الإيمان بما هو بالنسبة إليه حقيقة. هنا يلتقي الدين ـ كحقيقة إيمانية ـ بالفن. الفن مكون رئيس من مكونات الذات الانسانية السوية، وضرورة من ضرورات الوجود والارتقاء الإنساني.
- إن الإسلام ليس له "موقف قمعي" من الفنون، فالنهي أو التحريم في النظرية والتطبيق استهدفا مظان الشرك، ورموز الوثنية، وتحطيم قدسية المخلوقات. وليس التصوير أو النحت أو الرسم أو الغناء أو الموسيقى. الفنون نعم إلهية لتنمية مشاعر الجمال الإنسانية، وتزيين الحياة بالإبداع وحسن الصنعة. الأصل في الأشياء الإباحة.
- ضرورة استحضار وتدبر المناخ والبيئة والسياق الذي قيلت فيه الأحاديث المروية في موضوعات الفنون حتى تدرك المقاصد والعلل والأحكام والغايات.
- إن الخصومة التاريخية بين الفقه والفن كانت تذكيها غياب روح الاجتهاد لدى الفقهاء من جهة وتوسعهم في سد الذرائع من جهة، وانحراف بعض الممارسات الفنية عن مفهوم التوحيد أو عن مقاصد حفظ الدين والعقل والنفس والمال والعرض.
- إن اعتراضات الإسلاميين على بعض الأعمال الفنية هو في جوهره صراع حول مفهوم الحرية وأبعادها وحدودها، بين من يؤمنون بحقهم في حماية أخلاق المجتمع عبر ضبط ما يشاهد الناس وما يقرؤون، وبين من لا يعترفون بمعيارية المرجعية الدينية الأخلاقية والاعتقادية داخل المجتمع.

المحاضرة الثانية :موقف الإسلام من الشعر

لا شك أن الشعر يصور الواقع دائما, وما فيه من معطيات يتأثر بها ويؤثر, فلقد تأثر الشعر والشعراء في صدر الإسلام بالدين الجديد واتخذوا منه مواقف متناقضة, كما أن القرآن الكريم اتخذ موقفا واضحا من الشعراء لا الشعر, حينما وصف

شعراء المشركين الذين وظفوا شعرهم للهجوم على الدعوة و اضطهاد صاحبها الرسول الكريم ومن آمن معه بالضالين في قوله تعالى: ((والشعراء يتبعهم الغاوون, ألم تر أنهم في كل واد يهيمون, و أنهم يقولون مالا يفعلون إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا)) الشعراء 224-225.
وموقف القرآن الكريم واضح من الشعراء المشركين ومن الشعر من أجل تأكيد براءة الرسول الكريم من عالم الشعراء وقول الشعر, والتأكيد على أن الآيات هي معجزة كلامية تحدى بها فصحاء العرب والشعراء بالطبع, وليس ضربا من الشعر, لان فئة ظالمة كانت تشكك في نبوة الرسول وتغض من قيمة القرآن الكريم ولهذا كان لموقف القرآن الكريم من الشعر هذان المنحيان, فقال في نفي قول الشعر عن الرسول: ((وانه لتنزيل رب العالمين, نزل به الروح الأمين, على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين)) (195) سورة الشعراء.
كما قال في نفي الشاعرية عن الرسول صلى الله عليه وسلم: {وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ } (69) سورة يــس.
فالقرآن فرق في موقفه بين شعراء المشركين وشعراء المسلمين ولم يكن موقفه عدائيا من الشعر. كما أن الرسول الكريم استمد موقفه من القرآن الكريم فقد أعجب بالشعر الحسن وتذوقه, فحين استمع إلى شعر كعب بن زهير في برديته التي قال في مطلعها:

بانت سعادُ فقلبي اليومَ متبولُ* * *متيّمٌ إثرها لم يفدَ مكبولُ
نبّئتُ أنّ رسول الله أوعدني* * *والعفوُ عندَ رسول اللهِ مأمولُ

أعجب به فأثابه ببردته الشريفة.
ولقد كره عليه الصلاة والسلام شعراء الشرك ونفر منهم واستعان بشعراء المسلمين ودعاهم أن يدافعوا عن الدين و أن ينشدوا بين يدي هو جعل الشعر سلاحا يدافع به حيث قال: ماذا يمنع الذين نصروا الله ورسوله بأسلحتهم أن ينصروه بألسنتهم ودعا الرسول الكريم الشاعر حسان بن ثابت إلى الدفاع عن العقيدة والدين وهجاء المشركين حيث سمي حسان بن ثابت بشاعر الرسول لقوله:

قال الله: قد أرسلت عبدا * * * يقول الحق إن نفع البلاء
شهدت به فقوموا صدقوه * * * فقلتم: لا نقوم ولا نشاء
فمن يهجو الرسول منكم * * * ويمدحه وينصره سواء

يروى أن وفدا من تميم قدموا على الرسول ومعهم من شعرائهم الزبرقان بن بدر والأقرع بن حابس, ومن خطبائهم عطارد بن حاجب , ثم راحوا ينادونه من وراء الحجرات: يا محمد اخرج إلينا نفاخرك ونشاعرك, فإن مدحنا زين وذمنا شين. فرماهم الرسول بخطيبه ثابت بن قيس وشاعره حسان بن ثابت ،فساجل ثابت عطاردا خطابة، وساجل حسان الزبرقان شعرا،فقال بن حابس:0 فوالله إن هذا الرجل- يعني الرسول- لمؤتي له ، لخطيبه أخطب من خطيبنا ، ولشاعره أشعر من شعرائنا، وأصواتهم أعلى من أصواتنا ، ثم أسلم القوم جميعا بين يدي الرسول وأغدق عليهم الهدايا . (العصامي : سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي 232.(
وللرسول رأي في الشعر فهو لخدمة المجتمع و إبراز الفضائل وله تلك الوظيفة الجمالية والأخلاقية معا حين قال: \" إن من البيان لسحرا , و إن من الشعر لحكمة \" (أخرجه أحمد 16/2(4651) و\"البُخَارِي\" 25/7(5146. (
فحسن الشعر في نظره كحسن الكلام وقبيحه كقبيح الكلام. كما الفرق بين الكلمة الطيبة والكلمة الخبيثة ولذلك قبل عليه الصلاة والسلام أن يمدح بالشعر ويثيب عليه.

المحاضرة الثالثة: الأدب الإسلامي التعريف والنشأة

1- <u>تعريف الأدب الإسلامي :</u>

إدا كانت لفظة" أدب " قد حملت في مدلولها اللغوي مند الجاهلية معنى المأدبة والخلق الكريم ومنها قوله صلى الله عليه وسلم " أدبني ربي فأحسن تأديبي "فان مدلولها قد تغير في القرنين الأول والثاني الى الادب الدي يتأدب به الأديب لأنه يقودهم الى المحامد وينهاهم عن المقابح ,ثم اتسع ليشمل الاطلاع على الفلسفة والرياضيات والاخبار وغيرها ,ولكنه استقر في القرون الاخيرة على العناية بالشعر والنثر وعرفه الأدباء في تلك المراحل بأنه الكلام البليغ الجميل المؤثر في النفس .

ان هدا التعريف العام يقودنا الى القربى من مفهوم الأدب الاسلامي الا أننا وجدنا صيغا متعددة في تعريف الأدب الاسلامي , تحاول كلها ان تحصر مفهوم هدا المصطلح حصرا جامعا , ولعل سيد قطب وهو ناقد أدبي قبل أن يكون مفكرا اسلاميا حيث كان من أوائل الدين تصدوا لتعريف الادب الاسلامي تمييزا له عن أي كلام آخر بأنه " تعبير موح

عن قيم ينفعل بها ضمير الفنان , هده القيم تنبثق عن تصور معين للحياة والارتباطات فيها بين الانسان والكون , وبين بعض الانسان وبعض)).

ولعل هدا التعريف يشير الى قضية مهمة وهي القيم التي تنبثق عن تصور الحياة , ولفظة التصور هي مركز الدائرة في الأدب الاسلامي ولتمييز بين ما هو أدب اسلامي وما هو غير أدب اسلامي , فالتصور هو الدي يحدد ويميز بينهما .

وقد عرفه أيضا محمد قطب " بأنه التعبير الجميل عن الكون والحياة والانسان من خلال تصور الاسلام للكون والحياة والانسان)) ثم نجده يربط الأدب بالفن الاسلامي , فعرف محمد قطب الفن والأدب جزء منه و بأنه : التعبير الجميل الموحي عن الحياة)) فهدا التعريف يلتقي مع الدين كونه ينطلق من التصور الأيماني للوجود والمشاعر والسلوك والوجدان والدين منهج شامل للحياة

ويرى قطب أن الإسلام لا يكفي لإنشاء فن اسلامي فلا بد من وجود الفنان الأديب المسلم المتمسك بالإسلام لان الفن انفعال ذاتي بالحياة والأحداث ومعاناة لتجارب وليس أفكارا أوفلسفات مجردة .

اذن فالمفهوم عند محمد قطب يوسع دائرة الأدب الاسلامي لأن تصور الاسلام للحياة والكون والانسان هو تصور شامل للبشرية يحاطب الانسان , اي إنسان في الكون وهو ما يجعل الادب الاسلامي أدبا انسانيا عالميا لا يتقيد بحدود الزمان والمكان .

وما دامت هناك صيغ متعددة لتعريف الادب الاسلامي تحاول كلها ان تحصر مفهوم هذا المصطلح حصرا جامعا ,نجد أن أقربها الى الأذهان ما قدمه الدكتور عبد الحمان رأفت الباشا فيقول : ((بانه التعبير الفني الهادف عن وقع الحياة والكون والانسان على وجدان الأديب تعبيرًا ينبع من التصور الاسلامي للخالق عزوجل ومخلوقاته ولا يجافي القيم الاسلامية)).

إن هذا التعريف يقرب معنى الادب الاسلامي المراد له , ويعرف القارئ أو المتلقي بأطره العامة التي يتحرك داخلها ,وقد وضح ان المقصود بفنية التعبير جماله وروعته و ولا غرو فإشراق العبارة وجمالها هما شرطان أساسيان لازمان لكل اديب, فكيف إذا كان هذا الادب او التعبير إسلاميا نابعا من كتاب الله متأسيا بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم و والجمال في الادب هو الذي يحقق الشروط ويجعل للأدب تمييزا عن غيره ولأن الهدف الأسمى هو توظيف الأدب لكي يرقى بالإنسان فكرا وروحا وسلوكا واتجاها , وهذا الرقي والسمو لا يتم إلا وفق القيم الاسلامية, كما يطرح هذا التعريف قضية الشكل والمضمون فالأديب المسلم مطاب بالالتزام بكل الاشكال الفنية التي تميز الانواع الادبية المختلفة وهو من الاهداف السامية للأدب ومن خلال القيم الاسلامية التي تصيغ العمل الفني ((فالأدب بهذا المفهوم تعبير عن ضمير المسلم الحي , وعقله المستنير وروحه العالية , وتراثه الحضاري الزاخر الانساني))

أما الاديب عدنان النحوي فيقترح أن يشتمل تعريف الادب الاسلامي على النقاط التالية :

1 – العناصر الفنية للأدب .

2 – القوى الاساسية التي ينطلق منها العمل الفني من الانسان والجذوة التي تطلقه والميادين التي يعمل فيها .

3- العقيدة التي ترعى ذلك كله وتغذيه وتهبه القوة والحياة ,وتحدد له الاهداف المرحلية والاهداف الثابتة)).

وقريبا من تعريف عبد الرحمان رافت الباشا ومحمد قطب نجد تعريف آخر للأدب الاسلامي للناقد عبد الباسط بدر حيث يعرف الادب الاسلامي بانه ((مصطلح يطلق على الاعمال الادبية التي تعالج قضية ما بروية اسلامية صافية سواء مكتوبة باللغة العربية او بغيرها من اللغات)) وهو هنا في هذا التعريف يتجاوز ما قد يلتبس على القارئ في التعريفات السابقة , ويظنه مقصوراً على الادب العربي فحسب .

كما عرفته ايضا رابطة الادب الاسلامي بانه ((التعبير الفني الهادف عن الانسان والحياة والكون وفق التصور الاسلامي)) وكان هذا التعريف ردا على بدائل مصطلح الادب الاسلامي الدي حصره البعض في دائرة ادب الدعوة , لكن الادب الاسلامي لا ينبغي ان يحصر في ادب الدعوة , فهو يشمل اي موضوع وأي تجربة انسانية تتعلق بالكون الفسيح والتي تحيا في هدا الكون .

وعموما نقول ان الادب الاسلامي هو ذلك الادب الذي ينبع من فكر وشعور اسلامي , شعرا كان او قصة او رواية او مسرحية ....وما الى ذلك من عناصر الادب هذا الادب)) .ففي هذا المعنى يتميز الادب الاسلامي بصفته الإلتزامية , اي انه ادب التزامي كالآداب الاخرى له موضوعاته وغاياته المعروفة ولكن ليس شرطا ان يتحدث هذا الادب عن الاسلام ومقدساته مطلقا فالقصيدة حول الظلم ضد مسلمي البوسنة تعد من الادب الاسلامي فهو يملك مفهوما واسعا .

فالأدب الاسلامي هو الادب المنبثق من الرؤية الاسلامية او متفقا معها , وحتى النصوص التي لا تنبثق من التصور الاسلامي أساسا , ولكنها لا تتعارض معها تكون مقبولة في الادب الاسلامي فهو ((التعبير الفني الهادف عن وقع الحياة والكون والانسان على وجدان الاديب من خلال التصور الاسلامي)). فالأدب الاسلامي من حيث شموليته يطلق على كل ادب انبثق من التصور الاسلامي سواء اكان ادبا مكتوبا بالعربية ام بغيرها من اللغات الاخرى التي يتكلم بها المسلمون في العالم .

ونجد هذا التصور واضح لمفهوم الادب الاسلامي في صورة واضحة في تعريف الدكتورعماد الدين خليل والذي عرفه بانه ((تعبير جمالي مؤثر بالكلمة عن التصورالاسلامي للوجود).

فالركنان الاساسيان لهذا التصور هما التعبير الجمالي المؤثر بالكلمة وليس بأداة اخرى , والتصور الاسلامي للوجود مستمدا من الكون والحياة والانسان من خلال رؤية اسلامية متميزة ومتفردة)) كما يؤكد المؤلف ا ناي غياب لواحد من العنصرين السابقين يجرد الادب من اسلاميته , فلا بد من تحقق القدرة الابداعية لدى الاديب المسلم من جهة وفق التصور الاسلامي وهيمنته على ما يصدر عنه فكرا وعملا من جهة اخرى))

2- نشأة الأدب الإسلامي:

إن الكتابة أو الدراسة في مجال الأدبالإسلامي مناسبة عظيمة وطيبة لان الأدبالإسلامي ليس اختراعا جديدا كما يظن البعض ,وكما يضيق بالبعض عنوان "الأدبالإسلامي "ويصنفه في خانة الاتجاهات الادبية الاخرى كالكلاسيكية والرومانسية والسريالية وغيرها من المذاهب الادبية التي شهدت عوامل متشابكة تولدت من خلالها وهو ليس موضة ينادي بها بعض الناس ولكنه اصلاح لمسيرة الادب العربي خاصة وادب الشعوب الاسلامية عامة ,فقد كان ادبنا مند اربعة عشر قرنا يصدر عن روح اسلامية وتصور اسلامي ,حتى نتفاجأ بظهور ادب الردة والعار الذي كرس التبعية والذيلية والدونية واحتقر عقيدة الامة وتراثها المضيء, ودخل في دائرة العبثية الفكرية والتعبير الغامض المعقد والمغلق وتخلى عن قضايا الشعوب وحصر نفسه في زاوية ضيقة من النرجسية والخواء زيادة على تبنيه منهجا شادا في مصادرة فكر الامة وقيمها واخلاقها وظهر من يقول بانه لا علاقة للدين بالثقافة في حين نجد ان كبار الأدباء والمفكرين في اورباپومنون بان الثقافة هي الوجه الآخر للدين واضافة الى دلك ما نراه اليوم من تيارات أدبية معاصرة والتي تجمع معظمها في "سلة الحداثة "تحاول قطع الصلة بين الادب وشخصية الامة وأن تبتر سياق الأدب في الأمة العربية الإسلاميةسعيا منها الى انشاء سياق أدبي جديد يستمد ملامحه من الثقافة المعاصرة القائمة على أساس الرفض والتمرد))1 بل انهم يظنون ان التقدم الحضاري مرهون بتحقق هدا الانقطاع بين الادب وشخصية الامة ’ ففي دلك يقول منظر الحداثة الاول في الادب العربي ادونيس لا بد من ترك التفاخر بالماضي وأمجاده ’فان دلك العصر لم يعد لنا ’ وخطوتنا الاولى هي الانفصال عن الماضي مهما كان عظيما ’والارتباط بالحاضر ارتباطا وثيقا))

اذن فالدعوة الى الأدب الاسلامي وضرورة طرح المنهج الاسلامي في الادب حاجة ملحة من أي وقت مضى ’ هدا الادب الدي بدأ بنزول القرآن الكريم ’ لان كتاب الله تعالى هو الدي ميز بين طائفتين من الشعراء احاهما ضالة ومضلة والثانية مؤمنة وملتزمة كما ميز القرآن الكريم بين ضربين من الكلمة :الكلمة الطيبة والكلمة الخبيثة والتي هي كلمة الايمان , ثم كانت عشرات الاحاديث والمواقف للرسول صلى الله عليه وسلم تبيين نوع الادب الدي يقبله الاسلام وشرائطه وحدوده ,ثم مضى الصحابة والراشدون والفقهاء والعلماء من مشارب شتى ينظرون لما هو اسلامي نظيف من القول , ولما هو خارج عن درب الاسلام معتد على قيمه))فالأدب دولة الاسلامي متجدر الجدور في تربة التاريخ والدي قد كان شهد بدايته الفعلية مع الدولة الاسلامية الراشدة, والحقيقة ان, وهي :

1- العامل الحضاري :لقد كانت حقيقة الشعر سمة بارزة للحضارة الاسلامية وعلامة دالة على وجودها , وباعتباره جنسا أدبيا لامعا , والرسول صلى الله علية وسلم عندما قال " لا تدع العرب الشعر حتى تدع الأبل الحنين " كان يقرر هده الحقيقة مما استوجب على الاسلاميين بعد دلك الى التفكير في التنظير للأدب الاسلامي وممارسته ابداعا ونقدا .

2- العامل النفسي :مما لا شك فيه ان العامل النفسي شرط أساس للأدب والفن , فما وجد الفن طريقه للخارج الا عبر المعاناة النفسية والانفعالات الوجدانية التي يمر بها المبدع كما يرى دلك الادب الحديث , وادا كان الادب ضرورة من ضرورات الحياة , فان الادب الاسلامي اكثر ضرورة لأنه يخلق للأديب المسلم معادلا موضوعيا لمعاناته النفسية , وقناة لانبثاق توتره الداخلي نتيجة لاصطدام الاستقرار العقائدي للمسلم بالواقع الاجتماعي المنحرف , فخلق لدى الاديب المسلم توترا لا مثيل له)

3- العامل الاجتماعي :لاحظ الفكر الاسلامي عند انبعاثه بونا شاسعا بين واقع الامة الاجتماعي ووضعها الادبي , فكانت رسالة الاديب المسلم خدمة مجتمعه وأن يكون انسانيا في اهدافه لأنه في الوقت الدي يتلظى فيه المجتمع بنيران مشاكله الداخلية نجد الأدب يتعالى ويرتكس في درك الذاتية والوجودية واللامبالاة , لدلك كان من أهم مسؤوليات الاديب المسلم بناء مجتمعه وتغيير واقع امته والتمرد على الواقع المخالف لمنهج الله وأهداف الانسان في الارض واقامة كيان المجتمع واصلاح اعوجاجه واحداث التوازن في قيم المجتمع بحيث يضمن له الاستقرار والنماء والبناء .

4- العامل الأدبي : لقد طرحت لدى المسلمين ضرورة ايجاد البديل الادبي الدي يستطيع تغدية العاطفة الانسانية , وبناءها بناءا يليق بمستوى الدور الحضاري المناط بالإنسانية جمعاء , فالحقل الأدبي يمثل مكانة بارزة في الحياة الثقافية للأمم والشعوب فهو ضروري للنفس الانسانية ضرورة الغداء للأجسام والنفس حقل مهيألللإنبات , فإما ان يزرع فيه بدور للأدب الاسلامي الباني واما ان يفتح المجال للأدب الانطوائي وشعراء الخوف حسب تعبير " جيدور سيمور ")) .وهو ما جعل الادب الاسلامي أمرا ضروريا لدلك .

إنكل هده العوامل مجتمعة ساهمت في نشأة وبلورة الأدبالإسلامي الحديث , فانطلقت التجارب الإبداعية والتنظيرية والنقدية في شتى المجالات , وفتحت آفاقا ممتدة في سماء الآداب الإنسانية , ولقد حقق مشروع الأدب الإسلاميانجازات في إطار التنظير والتطبيق تمثلت في كتابات سلسلة من المفكرين والباحثين بداية مع مطلع القرن التاسع عشر و شهد هدا المشروع تطورا ملحوظا في وضع لمسات أولى لبناء خطاب إسلامي شمولي يعمل على تأسيس نظرية أدبية من منظور إسلامي .

لكن نتج عن هده النظرية سلسلة من الإشكالات المعرفية متمثلة في مفهوم وخصائص هدا الأدب , وهو ما سنتعرض له في صفحاتنا الموالية في هدا البحث .

المحاضرة الرابعة :<u>خصائص الأدب الاسلامي :</u>

اِن الادب رؤية فردية للأشياء , فكل نص ادبي يقدم لنا صورة للأشياء كما يراها صاحبها الا وهو المبدع و وهذا الجانب الفردي في الادب يطلق عليه اهل الادب " التجربة الشخصية " او " التجربة الشعورية " , وهدا الادب هو في العادة انسان وقاد المشاعر , نافذ البصيرة , يحس بما لا يحس به الآخرون و وهكذا فان الادب مهما كان اتجاهه انم يعكس تصورات اصحابه الشخصية و ورؤيتهم لها و واذا ضربنا على ما تقدم على الادب امكننا ان نقول في تعريفه " انه تعبير جمالي شعوري باللغة وعن تصور اسلامي للإنسان والكون والحياة و فهو تعبير فني راق عن رؤية فكرية يحكمها التصور الاسلامي , والمنهج الاسلامي تمليها عقيدة الاسلام , بكل ما تمد به الاديب من رؤى ومشاعر .

ومن خلال ما تقدم من التعريف السابق للأدب الاسلامي , وهو تعريف شبه متفق عليه من طرف الادباء والنقاد المعنيين به و يمكن ان نرصد مجموعة من الخصائص للأدب الاسلامي , وهي خصائص يشترك بها مع ا لآداب الاخرى في بعضها , وينفرد وحده ببعضها الآخر , وسنتحدث باختصار عن بعض خصائصه , ولا سيما التي يمكن ان ينطوي الحديث عنها على ايضاح لبعض الخصائص ومن اهمها :

<u>1) أدب عقدي (عقائدي) أو ادب عقيدة :</u>

الادب الاسلامي أدب عقدي أي أدب مرتبط بالعقيدة الاسلامية يغترف من نبعها , وهده العقيدة مفهوم شامل للكون والحياة والانسان فهي ليست مقصورة على الشعائر الدينية)) من صوم وصلاة وجهاد وما شابه ذلك بل هي تصور كامل وشامل لكل شأن من شؤون الحياة و ولكن النقطة الاساس التي طرحت في الدراسات الادبية الحديثة و وهي أن الادب الاسلامي في هذه النظرة ليس بدعا و فكل ادب انما يصدر في الأساس عن عقيدة و لكننا نرى ان الآداب الحديثة قد جانبت المعتقدات الدينية والشرائع السماوية واستبدلت بذلك شرائع وفلسفات وضعية صنعها الانسان , فصارت الصلة بين الآداب الحديثة شبه منقطعة مع الاديان السماوية , فجاء الادب الاسلامي ليعيد هذه الصلة ويرجع الكلمة الى رحاب الدين محضنها الاول , لان الصلة بين الادب والعقيدة قديمة حديثة , فلا نجد دينا من الاديان السماوية او مذهب من المذاهب البشرية علاقة وطيدة بينه وبين الادب كما عرف الاسلام , فمعجزة

الدين الاسلامي الكبرى هي معجزة ادبية تمثلت في المصدر الاول وهو القرآن الكريم لما فيه من روعة البيان وقمة العلو الفني والتعبيري , فهو يمثل الاساس البياني والبلاغي للنقد الاسلامي وما تضمنه من دور للكلمة في بناء الانسان والكون , كما استحكمت هذه الصلة بين الادب والدين في احاديث الرسول صلى الله عليه وسلم نموذجا راقيا في التعبير الادبي في أشكاله المختلفة من مثل وخطبة وموعظة و......

2) الهدفية والالتزام :

الادب الاسلامي صاحب قضية , وهو ملتزم برسالة ينافح عنها ودعوة الالتزام قديمة في الفكر الانساني فقد نادى افلاطون بالتزام الاديب بالمبادئ الانسانية والفضيلة وهداية الاجيال , ثم جاء ارسطو بالدعوة الى جعل الادب وسيلة لتطهير النفوس وتخليصها من عيوبها وشفائها من امراضها و وكل من افلاطون وارسطو يركز على الغاية الخلقية في العمل الادبي وهي أساس نظرية الالتزام)) وقد تطورت فكرة الالتزام على مر التاريخ مستندة على المبادئ الخلقية سواء في الجوانب السياسية اوم الاجتماعية ام الدينية .

وكان القرن التاسع عشر هو عصر التحولات الكبرى في اوجه الحياة المختلفة , وقد ادت هذه التحولات الى صراع عنيف بين الأفكار والمذاهب المختلفة والى تكوين ايديولوجيات تمس قضية الالتزام الفكري والادبي والفني مما ساعد على تكوين فلسفة الالتزام وايضاح خطوطها ومناهجها)) ولم تأخذ كلمة الالتزام معنى جديد ا فكريا وأدبيا الا في العصر الحديث كما ذكرنا كما لم تخرج في اوسع استعمالاتها عن معنى الالتزام في القول والعمل او الالتزام بالجماعة , غير ان الكلمة أخذت تحمل مضامين فكريو وادبية وخلقية وانسانية , فطفت اشكالية الالتزام في الادب , واخذت هذه المسألة حيزا كبيرا في السجال الدائر حول الأدب الاسلامي , فقد ظنها البعض معضلة حيث تقيد حرية الاديب وتمنعه من التحليق في سماء الابداع الفني لان الاديب المسلم يلتزم بتعاليم الاسلام واوامره ونواهيه , لكن الالتزام في الادب الاسلامي لا حدود له فهو لا يفرض على الاديب موضوعا معينا , وليس لهذا الالتزام الا ضابط واحد هو موافقة الحق بمعناه العقدي العام والتعبير عنه كما يراه الاسلام , فالالتزام الادبي الاسلامي هو التزام حقيقي لأنه نابع من داخل الاديب المسلم , انه جزء من شخصيته اختار هذا الدين عن طواعية وارادة من غير قسر ولا اكراه قال تعالى ((لا اكراه في الدين)) والالتزام في المنظور الاسلامي يتحول فيه الكلام الى عمل والقول الى فعل في ثنائية متكاملة متضامة .

اذن فالأدب الاسلامي التزام بالإسلام والتزام بالكلمة والتزام بالعقيدة , لان من صفات الشاعر او الاديب المسلم هي الايمان والعمل الصالح , وذكر الله كثيرا ,والانتصار بعد الظلم , والآية التالية صريحة وواضحة في توجيه الشعراء نحو الالتزام وفق التصور الاسلامي قال تعالى ((والشعراء يتبعهم الغاوون , ألم ترى أنهم في كل واد يهيمون وانهم يقولو ن ما لا يفعلون الا الذين ءامنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون)) فالتركيز في الآيات كان في الجانب الاعتقادي السلوكي للشاعر , وهو الذي يترتب عليه تلقائيا الالتزام الفني دون حاجة الى توجيه خارجي .

وكثير من دارسي الأدب الاسلامي الحديث يقسمون الشعراء الى قسمين غاوين وصالحين , فالغاوون من تفلتوا من الالتزام ولصالحون هم الملتزمون بما أقره الاسلام ومنه يصبح ادبهم ملتزما ومسؤولا وجادا , ويؤكد ذلك محمد اقبال على ان الالتزام من وظائف الأدب قائلا ((ان الالتزام يعني فيما يعني الالتزام بالأدب نفسه , وبقيمه الجمالية للوقوف في وجه الذين يعبثون بروحه , ويتلفون خصائصه الفنية , ويدمرون قيمه الجمالية بحثا عن حداثة تجريبية زئبقية ...بحثا عن صيغ لا صيغ لها ...بحثا عن المجهول في أرض المستحيل))من هنا تظهر قيمة الالتزام كما أسسته آيات القرآن في بداية الدولة الاسلامية الأولى .

وإن الالتزام الادبي الاسلامي شامل لكل ضروب الكلام سواء اكان شعرا ام قصة أم مسرحية أم خطبة أي سواء اكان الكلام شعرا ام نثرا , ((إن كل أشكال الكلمة في المنظور الاسلامي الأدبي في موضع الامانة والمسؤولية , وهي رسالة ذات شأن , ولا بد ان توظف في خدمة الحق والخير والقيم الفاضلة) .

والالتزام لا يقتصر على اللغة فحسب وانما يمتد الى مراعاة المقاييس المستخدمة في التقويم الاجتماعي , فيستخدم فيها ما يراه مناسبا وينتقي ما كان متفقا ويلتزم بما هو مألوف في بيئته , كما ان الدعوة الى الالتزام بالفكرة واللغة هي دعوة الى اكتساب الشخصية التي تتميز بقدرتها على معالجة ما تراه صالحا في المواضع التي تحدد , والالتزام في الدرجة الاولى يقوم على الموقف الذي يتخذه الاديب أو المفكر أو الفنان من تلك القضايا)) فالالتزام في الادب ضروري وان الاديب مسؤول بحكم التزامه عن كل الذي يكتبه , والادب ذو هدف , والاديب لا يكتب لنفسه بل للمجتمع الذي يعيش فيه ويقوم فيه بإبراز العيوب والنواقص وهز الواقع لتغيير ما فيه من عيوب في سبيل تحقيق قيم جديدة , وذو رسالة يأخذ بيد المجتمع الى مرامي التقدم وبناء الأجيال الصالحة .

3) الانفتاح والتجدد :

إن تصور الادب الاسلامي عن العقيدة , والتزامه تصورها الإيماني , لا يعني انه ادب منغلق على ذاته يسد نوافذه في وجه الثقافات الأخرى , انه ادب منفتح مجدد ويرى التجديد ضرورة من ضرورات الحياة , ولونا من التأمل في الكون , فالأدب الاسلامي فسح المجال امام الانفتاح الذي اكتسب مشروعيته من خلال منطلقين هما :

- المنطلق الشرعي : شرعيا ليس أي نص يحذر المسلمين من التعامل مع الآخر , واكتفى الاسلام بتأسيس ضوابط ذلك التعامل في نفوس ذويه , بل ان الاخلاق الاسلامية في آخر التحليل تخدم خاصية الانفتاح , فالتعاون الذي نص عليه القرآن الكريم في قوله تعالى : ((يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا) ومن وسائل التعارف نجد الادب , كونه يشكل احسن الوسائل , اذ يعرفنا على نفسية الآخرين واحساسهم ولن يتم ذلك الا عن طريق الانفتاح))
- المنطلق الادبي : إن من اهم الوسائل ان لم يكن اولها أن ينفتح الادب الاسلامي على الآداب الانسانية ((وليس الغرب الا حلقة ضمنها , ويستفيد من عطاءاتها الفنية والنقدية)
- فالأدب الاسلامي لا يعادي التجديد ولا يرفضه بل هو شديد الحماسة له , ولا يتحرج من استخدام تقنياته المختلفة ولا يضيق صدره بالانفتاح على مذاهب الفن جميعها والاستفادة منها ولكن يتعامل معها ببصيرة ورشاد لأنه يملك معياره العقدي الذي يضبط خطواته .

لقد ادرك الاستاذ العراقي "حكمت صالح " مدركا حقيقة الانفتاح عندما قال ((فبقدر ما نحن بحاجة الى تراثنا القديم نحن بحاجة الى الجديد , ومن ثم العمل بكل بصيرة وحذر على صهرهما في بوتقة واحدة لانتاج اعمال شعرية تخرج ادبنا العربي من دوائر السقوط ومحيطات التقوقع ...إن الانفتاح على العالم هو السبيل الوحيد الذي يكفل لاتجاهاتنا الجديدة التعبير عن تجاربنا الحياتية المعاصرة ...ولا مانع لأدبنا الاسلامي المعاصر من الاستفادة من الرمزية وحتى السريالية في قولها وطريقة طرحها للمضامين))30 هذا وقد أصبح الانفتاح في الادب الاسلامي يمارس فعله التعبيري ضد ذاتيتين مختلفتين :

المستوى الاول : نجده يقوم ضد انغلاق الذات الجماعية على المجتمعات الانسانية الاخرى , كل نزعة من شانها أن تنحو هذا المنحى الانغلاقي .

المستوى الثاني : ينهض ضد انغلاق الذات الفردية وتقوقعها في عالم " الانا "ومعاناته الفردية الرومانسية ...)) .

ومع ذلك فالأدب الاسلامي لا يقبل الأشكال الجديدة لمجرد انها جديدة وهو لا يجري خلفها – على منهج الآداب المتحللة من الرؤية الاسلامية – بل يحرص عليها ما كان فيها خير وحكمة لان المسلم معني بالحكمة ومعني أيضا بالتحسين والتجميل فهما من خصائص التصور الاسلامي .

4) الكونية الانسانية :

إن الكونية الانسانية كانت من اولى البنود في المشروع الاسلامي الاول , وهذه الخاصية أثرت في شتى مجالات الدراسات الاسلامية بدءا بالتصور الاسلامي الى مجال الفقه والتشريع , فمن باب أولى ان تؤثر في المجال الادبي , يتمثلها ويصدر عنها في تفاعله مع مختلف قضايا الحياة ...أن يعيش الاديب بعقلية ونفسية الآم الانسانية وآمالها . أن يعيش المنتمي بعقلية ونفسية توسع مفهوم الآخر فتدل هذه الكلمة في أدبيته على العربي والاوربي والامريكي والآسيوي والافريقي .....

وتتخذ مأساة الآخر مفهوما حاضرا في الذهن والوجدان والفعل , وليس مفهوما حياديا كما هو حالنا اليوم))

والناقد الذي يلج عالم الرواية يتذكر حتما قصيدة " بلال " للشاعرالعراقي حكمت صالح, حيث يقف (بلال / العبد) في وجه (العبودية / العالم) ويصارع من أجل البحث عن انسانيته المهدورة :...

لا هتف الصوت به من لجلجات النفس
يا إنسان , هلا ثار تركان تمنى
ثورة ...
تنتسف الاعراف في ذا البلد ؟
لم تزل عبدا ...اذا شاء وانتشاء تتغنى
هتف الصوت لغير المرة الاولى
ألا أبحث عن اله يقطع الاغلال ...
أغلال اليد ...))

لكن عندما يسمع بلال / الانسان صونا يناديه .

((بلال
فلقد أصدقنا الكاهن زعما ...
باندفاق الفجر من مكة
قد عادت الى البيوت الحياة

وبدأ السقف الذي يخسفه دفق السنا
بالانصداع
انت منذ اليوم حر
فاقتفيني ... يا بلال
اني ألفيت ربا يعتق اليوم اسيره ...
عند ذلك يعلن بلال في تحد عظيم
((أنا زنجي
وبمفهوم اصطلاح العمر
لكني انسان
بروحي
وبفكري
بضميري
إن فرضي رافض رفضي
لأني قيم تعشق حرية اِنسانيتي ...))
إن بلال الانسان يبحث عن اِنسانية تتحدى جميع السقف مهما كان ارتفاعها انسانية لا يشعر معها بأدنى تمايز اتجاه الآخرين , فوجد الشجرة التي أمدته بتلك الظلال ...اِنه الاسلام .

5)الوضوح :

من خصائص الادب الاسلامي الوضوح , ومعناه وصول الكلام الى المتلقي , وهو سمة من سمات الثقافة العربية واللسان العربي وان فن القول يسمى بلاغة , والبلاغة من البلوغ وهو الوصول , فالقول الفني الجميل هو قول يبلغ المتلقي , ويؤثر فيه ولو كان غامضا مبهما ما بلغه ولا أثر فيه , ومن أسماء البلاغة "البيان "وهو الظهور والوضوحوالانكشاف,وأن من خصائص العربية كذلك " الاعراب " وهو يعني الابانة والافصاح , والاعراب في مصطلح النحو يوضح المعاني ويكشف عن وظائف الالفاظ , وعلى رأس ما ذكرناه ما وصف به الله تعالى كتابه العظيم وهو القمة المعجزة للقول الفني الجميل فوصفه بأكثر من موضع بالوضوح والبيان قال الله تعالى ((الر تلك آيات الكتاب المبين)), والوضوح لا يعني السطحية والابتذال كما قد يظن البعض , وهو لا يتناقض مع الايحاء والاشارة واستخدام الرمز , لان الاصل في لغة الادب عامة والشعر خاصة أنها لغة تصويرية مجازية تعتمد على التخييل , فالقول الادبي لا يصل بسهولة فهو يحتاج الى غوص وتامل , وإعمال فكر مرفود ذلك كله باستعداد ثقافي , وذوق نقدي وملكة مدربة مصقولة .

6)التفاؤل :

تشكل خاصية التفاؤل شحنة روحية للمسلمين تذرها عليهم آيات الله , واحاديث نبييه المصطفى , قال الله تعالى ((إن مع العسر يسرا إن مع العسر يسرا)وقال الرسول صلى الله عليه وسلم " لن يغلب عسر يسرين " ولقد اِنعكست هذه السورة على الادب الاسلامي فترعرع في أجواء كلها امل وتفاؤل بالمستقبل الايجابي رغم السلبيات التي يعاني من مراراتها الأديب صباح مساء , ويتلظى بشررها في جميع إحساساته وسلوكاته)) .

لقد حظيت هذه الخاصية باهتمام الادباء لارتباطها بمشاعرهم الداخلية التي تتغذى بالعقيدة الاسلامية الصافية , فأصبحت مثل نار على علم كما يقال وصار من اليسير ان تكتشف ملامحها في لأي ناحية من نواحي الادب وفنونه الى درجة انها تشكل سمة جوهرية من سمات هذا الادب , ومع العلم ان الشعور بالمأساة عند الاديب المسلم بعكس التيارات الوجودية والعبثية الى رافد مهم يمد التفاؤل بشرط البقاء والاستمرار ...إنها الصبغة القرآنية التي تخرج من السلبي – حسب مفهوم الناس وادراكهم – بذور الايجاب والنماء .

7) الوصل بين السماء والارض :

يعيش المسلم مؤمنا بخالقه الواحد الأحد , وهذا الايمان يصل المسلم بربه دائما ويجعله على علاقة مستمرة لا تنبت ولا تنقطع , فلا تلهيه الدنيا بمتاعبها وزخرفتها وان اوجب عليها الدين ان يكون قويا يحمي دينه وعرضه ونفسه .

والادب الاسلامي يعمق الايمان بالخالق , فلا يفصل بين المسلم وخالقه , ولا يرضى للمسلم ان يكون مجرد كائن حي يبحث عن حياة كريمة بمعناها الراقي تنقله من الحيوانية الى الإنسانية ويسمو به الى روحانية نورانية تستعد للقاء الله

يوم البعث)) وهنا يبرز دور الادب الاسلامي مهما وملحا لتكون الصلة قائمة ومستمرة بين المسلم وربه او بين السماء والارض قال تعالى ((قل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك امرت وأنا اول المسلمين))

فالأدب الاسلامي هو المخلص للإنسان منحيوانيته وما ديته , وادب العقيدة هو الذي يحمي الانسان من براثن السقوط في متاهات الخوف والعزلة والوثنية القديمة والحديثة , ولا يجعل الموت كابوسا مزعجا فالحياة ليست نهاية المطاف ولكنها قنطرة عبور الى حياة اخرى فيها خلود واستقرار .

إن الأدب الاسلامي لا بد ان يكون متسقا مع التصور الاسلامي فيما بين العبد وربه , والعبد والعبد , والعبد والكون من حوله)) , ثم إن القرآن الكريم والسنة النبوية قد وضحاه في كثير من المناسبات , وكل ادب لا يتسق مع التصور الاسلامي ولا يصل بين الارض والسماء , هو ادب بعيد عن الاسلام أو مناقض له ولا يحمل صفة الاسلامي .

<u>8) البعد عن العبثية وعدم المبالاة :</u>

لا شك ان الاسلام صنع من وقت المسلم وعمله فرصة للاستثمار العبادي او العملي , فالمسلم ليس لديه وقت فراغ يزجيه في العبث او فيما لا يفيد , واما الترويح عن النفس ففي الاسلام يعد عبادة والعمل النافع المفيد اذا احسن استخدامه وله على ذلك ثواب , قال تعالى ((وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم تما كنتم تعملون))ومنه فالمسلم يعيش في حالة عطاء دائم واستعداد مستمر للعبادة والعمل .

إذا كان الغرب قد عرف ما يسمى ب "ادب العبث " او " أدب اللامعقول " او " أدب الفن للفن "ابتعادا عن تحمل المسؤولية اتجاه المجتمع والانسانية , فإن الادب الاسلامي لا يعرف ذلك , لان الكلمة في الاسلام مسؤولية , وهذا يعني ان الادب الاسلامي لا مجال فيه للعبث او الانغلاق على الذات , فالوظيفة الاساسية لهذا الادب هي البناء وتعمير النفوس والقلوب والافئدة بالقيم النبيلة والمثل العليا والاخلاق الرفيعة .
فلقد جعل الاوربيون من المسرح مركز تجمع لصراع الخيال البشري السقيم الدائم ضد الاقتناع الديني , وعدم الاكتراث الخلقي , فكانت هناك خيبة امل , ضياع اليقين , انعدام المعنى في الحياة ضياع المثل العليا الاهتمام بموضوعات الموت والعزلة والتغريب والرؤية الفردية للعالم والقلق والحيرة وعدم وجود حلول رفض الانظمة القائمة والاديان والفلسفات التقليدية , بيد ان الاسلام أعطى تصورا واضحا للإنسان وبين له طريق الخير وطريق الشر, قال تعالى ((وهديناه النجدين)) , وعلمه أن الحياة جهد دائب وصراع مع الشيطان ومع الشر , ومن ثم فالإسلام لا يرضى عن الادب الذي يجعل العبثية غايته أو اللامعقول هدفه او عدم الاكتراث بقضايا الناس ومشكلاتهم منطلقه وسبيله .

<u>9) أدب واعٍ يقظ :</u>

تتحمس بعضٍ المدارس الادبية الحديثة لتجريه اللاوعي , وتعد ما يصدر عنها في ذروة سنام الفن , وهي ترى أن تحرير اللاشعور من المختزن فيه هو جوهر التجربة الادبية , كما كان فرويد اليهودي يقول أن العقل الباطن مصدر توجيه السلوك البشري , وكان اكتشاف ما فوق الواقع سببا في نشوء المذهب السريالي الذي راح يدعو الى تحرير الانسان وفنه من ربقة العقل الواعي , وان الادب الحقيقي في وهم هؤلاء نتاج اللاوعي وغيبة اللاشعور وتراخي سلطان العقل وتبنت ذلك مدارس غربية حديثة , وفتح الباب على مصراعيه أمام كل شاذ هجين , وفشا طاعون الهلوسة والهذيان في نماذج كثيرة من ادب الحداثة تخرج عن سلطان العقل ورقابة الفكر وضبط الشعور , ولا شك ان هذه جميعا أفكار سقيمة تخالف التصور الاسلامي , فتجربة الوعي هي الصفة السائدة , اذ لا بد من سيطرة الشاعر على تجربته الفنية اذ تتم تحت سلطان العقل وسلطان اليقظة , لان الكلمة مسؤولة وهي في موطن المحاسبة الشديدة , قال تعالى ((ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد)والفرق بين تجربة اديب إسلامي , وتجربة اديب على غير المنهج الاسلامي هو ان تجربة الاول تخضع للمراقبة والمراجعة اما الثاني فتخضع للتبديل والتغيير , وصاحبها لا يضن عند الفاجعة أن يطرح ما قد يفسد الرؤية الاسلامية مهما كان جميلا من الناحية الفنية .

المحاضرةالسادسة : القضايا الأساسية للأدب الإسلامي

من أشد مايطرح على منظري الأدب الإسلامي هو الحسم في تلك الثنائيات المتلازمة في موضوع الأدب الإسلامي: منها الشكل والمضمون، التراث والحداثة، الأنا والاخر ، الالتزام والحرية ، الوضوح والغموض ، واللغة ، والوظيفة.

1- الشكل والمضمون: هذه إحدى الثنائيات التي تعترض مسيرة الأدب الإسلامي المعاصر، وتعرقل تناميها وقدرتها عى إقناع الآخرين. ومع أن المنظور النقدي لهذه الثنائية قد تجاوز هذه المشكلة منذ زمن بعيد، باعتبار العمل الإبداعي ليس خطاباً تقريريا، أو جهداً تسجيلياً، أو بحثاً في التاريخ، أو نقلاً مباشراً للوقائع والخبرات، وإنما هو خطاب مشحون بالقيم الفنية والجمالية، منزاح عن الدلالات اليومية للكلمات والتعابير، وإلا ما أصبح أدباً، ومع أننا قد نجد هذا التلاحم مؤكداً في معطياتنا التراثية وإلا أصبح الأدب ـ كما يقول الجاحظ: «كلمات ملقاة على قارعة الطريق»، وغير الجاحظ جملة من نقادنا القدامى أكدوا تلاحم الشكل والمضمون كابن قتيبة، والقرطاجني، وابن سلاّم، بل إن بعضهم لم يفصل أساساً بين طرفي الإبداع، كابن رشيق وضياء الدين بن الأثير، ويبلغ التداخل بين هذين الحدين أقصى درجات التحامه في نظرية النظم التي صاغها عبدالقاهر الجرجاني (ت: 471هـ) والقائلة بالعلاقة الباطنية القائمة بين الألفاظ والمعاني. ولا بأس هنا من استدعاء بعض الشواهد بالإيجاز الذي تتيحه صفحات كهذه. فابن قتيبة يقسم الشعر إلى أربعة أنماط أو أضرب: «ضرب حسن لفظه وجاد معناه، وضرب حسن لفظه وحلا فإذا فتشته لم تجد هناك فائدة في المعنى. وضرب جاد معناه وقصرت ألفاظه. ولفظ تأخر معناه وتأخر لفظه»(1). وابن رشيق يرى أن «اللفظ جسم وروحه المعنى» وأن «ارتباطه كارتباط الروح بالجسم: يضعف بضعفه ويقوى بقوته، فإذا سلم المعنى واختل بعض اللفظ كان نقصاً للشعر وهجنة عليه. فإن اختل المعنى كله وفسد بقي اللفظ مواتاً لا فائدة فيه»(2). ويصر ابن الأثير على «أن عناية العرب بألفاظها إنما هو عناية بمعانيها، لأنها أركز عندها وأكرم عليها» وهو إذ يلحظ اهتمام الشعراء بالجانب اللفظي، يؤكد أن ذلك لا يعدو أن يكون «وسيلة لغاية محمودة وهي إبراز المعنى صقيلاً. فإذا رأيت العرب قد أصلحوا ألفاظهم وحسنوها، ورققوا حواشيها وصقلوا أطرافها، فلا تظن أن العناية إذ ذاك إنما هي بألفاظ فقط، بل هي خدمة منهم للمعاني»(3) أما عبد القاهر الجرجاني فإنه يبلغ أقصى درجات الالتحام بين اللفظ والمعنى في نظريته المعروفة بالنظم التي يعرفها بأنها «تلك العلاقة بين الألفاظ والمعاني»، وأنها «تناسقت دلالتها وتلاقت معانيها على الوجه الذي اقتضاه العقل»، 4)

هنا نجد أنفسنا قبالة وهم آخر ما كان على الأدباء الإسلاميين أن ينجرفوا فيه، الأمر الذي تمخض عن سيل من المعطيات الإبداعية، في سياق الأنواع كافة، انطوت على نزعة خطابية تقريرية مباشرة، وتضاءلت التقنيات الفنية والجمالية، فأعطيت ـ بذلك ـ الفرصة للآخرين لكي يتهموا الأدب الإسلامي بالضعف، والعجز، وأنه لا يرقى إلى مصاف الآداب الأخرى. والحق أن لغة الإبداع التي تباشر مفرداتها صيغ التعبير لن تمنح أدباً، لأن الفاعلية الإبداعية لا تتألق إلا بسلسلة من الكنايات والاستعارات والمجازات، تبتعد بالمعنى عن دلالاته الاعتيادية، في لغة الخطاب اليومي إلى مواضع جديدة تمنح المفردات والتعابير نبضاً خفاقاً وألقا مدهشاً، ولكن شرط أن يتم هذا كله وفق منظومة من الضوابط البيانية والنحوية واللغوية، وفي ضوء قواعد ومرتكزات وثوابت متفق عليها من المعطيات النفسية والاجتماعية والجمالية، والثقافية في نهاية الأمر، من أجل أن يتحقق التواصل في الخطاب بين المبدع والمتلقي ولا يغدو تسيباً وانفلاتاً وعبثاً.

2- **التراث والحداثة.** وتأخذ هذه الإشكالية صيغاً شتى ºمن بينها على سبيل المثال ذلك الاعتقاد الخاطيء، السائد لدى العديد من الأدباء الإسلاميين، بأن احترام التراث يوجب رفض الحداثة والتنكر لها، أو أن قبول بعض حلقات الحداثة يعني بالضرورة التنكر للتراث.

فإن الأدب الإسلامي المعاصر لا تتشكل ملامحه، ولا تتحدد شخصيته المتميزة إلا بالتجذر في اثنتين: العقيدة والتراث، وإلا فقد خصوصيته، فإذا كانت الأصول العقدية للأدب الإسلامي مما لا يختلف عليه اثنان، فإن التراث باعتباره معطى وضعياً ينطوي على هامش من الحرية يفسح المجال للانتقاء، فإذا سلمنا بأن ممارسة كهذه لا تعني بالضرورة نفياً للتراث، لم يبق ثمة حجة للاصطراع الموهوم بين فئتين من أدباء الإسلامية ºتلتصق إحداهما بالتراث بأكثر مما يجب، حتى إنها لا تكاد تترك بينها وبينه فاصلاً مناسباً للرؤية الصائبة، التي تتيح الأخذ أو الرفض على هدى وبينة، وتبعد الفئة الأخرى صوب الطرف النقيض، مدعية أن الأدب الإسلامي مادام يحمل لافتة «المعاصرة» فإن عليه أن يفك ارتباطه بالتراث.

إن التجذر في التراث ليس ترفاً أو اختياراً، ولكنه قدر كل فاعلية ثقافية تسعى لأن يكون لها مكان في العالم، من خلال تشبثها بالشخصية المتفردة، والملامح ذات الخصوصية، ولن يكون هذا بدون الامتداد صوب البعد التاريخي، أو العمق التراثي للتحصن به والاستهداء بمعطياته، جنباً إلى جنب مع الأصول العقدية التي تشكل قاعدة العمل الأساسية، وبوصلة الانطلاق والتوجيه. هنالك حقيقة طالما غابت عن أذهاننا ونحن نتحدث عن ثنائية التراث والمعاصرة، رغم أنها قد تكون بداهة من البداهات، وهي أن المعطى التراثي نفسه كان ساعة تشكله «معاصراً»، بمعنى أنه وليد اللحظة التاريخية، بكل مكوناتها ومؤثراتها وموروثها التراثي، القادم من نقطة زمنية في الماضي، ولم يكن ـ بالتالي مأسوراً بسلطة التراث الذي يسبقه في الزمن، قد يتأثر به ويتلقى عنه، ولكنه لا

يعكسه كالمرآة دونما إضافة أو إبداع. هذا إلى أنه من المعروف لدى الدارسين أن التعامل مع الموروث الثقافي، ومعطيات الآباء والأجداد بشكل عام، إما أن يعتمد صيغة اتباعية تمارس التقليد والاجترار، ولا تكاد تضيف جديداً، أو صيغة إبداعية لا تتنكر للموروث، ولكنها ـ في الوقت نفسه ـ لا تسمح بأن تقع في شباكه. ويكاد يكون من المتفق عليه أن هذه الحالة هي التي تشكل أحد العوامل المساعدة على تنامي الفعل الحضاري، وبالعكس فإن الحالة الاجترارية تعكس في معظم الأحيان الوضع التاريخي الذي يتعثر فيه هذا الفعل، ويمضي بالحضارات صوب التدهور والسقوط.

3- الأنا والآخر: في المنظور التاريخي كانت «الأنا» لا تلغي «الآخر» ـ في معظم الأحيان ـ أو تصادره، وكان تحقق «الآخر» لا يعني ـ
بالضرورة ـ الحكم بالإعدام على «الأنا»، بل إن بمقدور المرء ـ على العكس ـ أن يضع يديه على سياقات مترعة بالخصوبة والعطاء بخصوص ثنائية الأنا والآخر، كانت ـ في حالات كثيرة ـ تمنح القطبين معاً الفرصة للتحقق والصيرورة والتنامي. صحيح أن لحظات النفي والاصطراع والمصادرة امتدت عبر مساحات واسعة في الزمن والمكان، لكنها ـ على أية حال ـ ليست الصيغة الوحيدة. أما على المستوى العقدي فيكفي أن نرجع إلى المنظور القرآني للثنائية ºلكي يتأكد لنا أنها مركوزة في الجبلة الآدمية، وأنها تنطوي على الإيجاب والسلب معاً، ووفق أشد الصيغ واقعية ووضوحاً: {لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً، ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات}(8)، {ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة، ولا يزالون مختلفين، إلا من رحم ربك، ولذلك خلقهم}(9). وكثيراً ما يكون اختلاف الألسنة والألوان الذي يعقبه تغاير الثقافات وتعدد الأعراق، أحد العوامل الأساسية التي تكمن وراء التنوع الذي هو بحد ذاته صيغة من صيغ الإبداع الألهي في العالم: {ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون.. ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم، إن في ذلك لآيات للعالمين}(10). أما عن الهدف من وراء هذا التغاير، فإن القرآن يجيب: {ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض، ولكن الله ذو فضل على العالمين}(11). وهكذا فإن التغاير يقود إلى تحريك الحياة نحو الأحسن، فإذا ما انتقلنا من العام إلى الخاص، أي من الدائرة الحضارية أو الثقافية على اتساعها، إلى حلقة الآداب والفنون، وجدنا أنفسنا قبالة ثنائية يمكن أن تمنح الأدب الإسلامي ـ إذا أحسن توصيفها ـ خبرات مضافة تمكنه، ليس فقط من أن يزداد نضجاً ويستوي على سوقه، وإنما ـ أيضاً ـ من التأثير في الآخر والتحول، شيئاً فشيئاً، إلى العالمية، التي تمثل السقف العالي الذي يطمح إليه كل أدب قدير على العطاء والإبداع، وهي ـ في المقابل ـ إذا أسيء توظيفها فإنها ستقود إلى إحدى اثنتين: العزلة عن الآخر وتضييع فرص الاتقان والإحسان من جهة، أو الفناء فيه وضياع الملامح الأصيلة التي تميز آداب الأمم والشعوب وتمنحها خصوصياتها، وسيكون من فضول القول التذكير بأن الاندفاع غير المبرمج باتجاه الأخذ عن النشاط الأدبي الغربي دونما ضوابط، ولا معايير إسلامية تفرز وتعزل وتميز وتختار، سيكون نوعاً من الانتحار الثقافي، لأنه سيقود إلى فقدان الهوية والذوبان في منظور «الآخر». وهكذا تجد الحركة الأدبية الإسلامية نفسها في أمس الحاجة إلى مزيد من الحوار المرن المفتوح غير المتشنج، بين التيارين الإسلاميين بخصوص التعامل مع الآخر، من أجل أن تفيء الأطراف كافة إلى الوسطية التي هي نبض الممارسة الإسلامية الأصيلة، في كل منحى من مناحي الحياة، وهي ليست موقعاً جغرافياً، ولا اختياراً هروبياً لمواقع السلامة، وإنما ـ على العكس ـ انتقاءً إرادياً صعباً لعناصر الإيجاب في الظواهر كافة، من أجل التحقق بأكثر الصيغ توافقاً وانسجاماً وقدرة على العطاء.

المحاضرةالسابعة: عنوان المحاضرة :مفهوم النقد الإسلامي وموقفه من المناهج النقدية الغربية

لقد بات من المسلمات في الحركات النقدية الحديثة ، أن لا قيام لأي توجه نقدي ، ما لم تقف وراءه فلسفة عميقة ، تثبت خطاه، وتعمق تفكيره، ومثلما كانت الفلسفة الإسلامية بما حمله الإسلام من رؤى ومواقف في ظهور الأدب الإسلامي؛ فإنها أيضا كانت متكأ لبروز منهج نقدي يخدم هذا التوجه وهو ماعرف بالنقد الإسلامي، فما ميزته، وماموقفه من المناهج الغربيَّة الحديثة والمُعاصِرة؟

إنَّ النَّقد الأدبي كلامٌ عن كلام، كلامٌ عن الإبداع شعرِه ونثرِه؛ إذ هو فحْص النُّصوص، وإمعان النَّظَر فيها، وقراءتها قراءةً دقيقة مِن أجْل تَمييز جيِّدها من رَدِيئها، وصَحيحها مِنْ زائِفِها؛ لأنَّه في النِّهاية يَرمِي إلى تقدير العمل الأدبي تقديرًا موضوعيًّا صحيحًا.

وبإضافة" النقد "إلى" الإسلام "يَتولَّد لدينا معنى خاصٌّ يرتَبِط ارتبِاطًا قويًّا بالإسلام؛ حيث يُصبِح النقدُ الأدبي - سواء أكان نظريًّا أم تطبيقيًّا - يستمدُّ أصولَه وأسُسَه، وقواعِده ومَعاييره، من رُوح ديننا الحنيف وتعاليمه ومُثُله العُليَا.

وبكلمةٍ أخرى :فإنَّ إضافة" النقد "إلى" الإسلام "يجعَلُه نقدًا خاصًّا متميِّزًا عن غيره؛ حيث يُمكِن أنْ نُطلِق عليه في ظِلِّ هذا التميُّز وهذه الخصوصيَّة اسم" النقد الملتزم"، تبَعًا للأدب الإسلامي الذي هو في الحقيقة أدبٌ ملتزمٌ يستمدُّ التزامَه مِنْ إضافة الأدَب إلى الإسلام أيضًا.

ومِن هنا تتجلَّى العلاقة بين النقْد الإسلامي والأدب الإسلامي؛ فهما معًا يجمَعُهما الالْتِزام؛ بمعنى: أنَّ الأديب يُوجِب على نفسه تصوُّرًا لا يُفارِقه، وهو" تصوُّر الإسلام للكون والحياة والإنسان، وكذلك يَفعَل الناقد الذي يأخُذ على عاتِقِه تَقويمَ الأثَر الأدبي، فهو الآخَر ينبَغِي أنْ ينظُر إلى الإبداع الأدبي في ضوء ذلك التصوُّر نفسه.

1- موقِف النقد الإسلامي من المناهِج النقديَّة الغربية

إنَّ النقد الإسلامي يستَنِد لا مَحالَة إلى الخلفيَّة الدينيَّة الإسلاميَّة التي تقوم على التوحيد، وحسن علاقة الإنسان بخالقه، وعلاقته بأخيه الإنسان، فهو ليس في عمقه ذئبًا لا يُضمِر إلاَّ الشر للآخَر، وإنما هو كائنٌ يُولَد على الفطرة؛ أي: على الخير والحبِّ للناس جميعًا.

أمَّا في النقد الغربي الحديث فلا نجد مَناهِج فيها أعْلَمُ لها خلفيَّة دينيَّة أخلاقيَّة، وإنما نجد خلفيَّات فلسفيَّة وأيديولوجيَّة، وجماليَّة ولسانيَّة، وهي التي أنتَجَتْ أشهَرَ المناهج النقديَّة؛ كالمنهج النفساني الذي أنجبَتْه فلسفة التحليل النفسي، والمنهج الواقعي الذي أنتجَتْه الفلسفة الماركسيَّة، والمنهج البنيوي الذي جاء وَلِيد الفلسفة الجماليَّة والفلسفة الماديَّة والنظريَّات اللسانيَّة، كذلك المنهج الأسلوبي؛ إذ هو صِنوُ المنهج البنيوي، فهما معًا فرعان من شجرة اللسانيَّات الحديثة.

إنَّ مُعظَم الفلسفات والأيديولوجيَّات المذكورة تَنظُر إلى الإنسان في الحياة الاقتصاديَّة والاجتماعيَّة نظرةً تقوم على الصّراع الطبقي والتدافُع الدموي؛ ولهذا فإنَّ موقف النقد الإسلامي منها ومن المناهج التي نشأَت عنها، لن يكون إلاَّ موقف تحفُّظ واحتِراز.

ويَزداد هذا المَوقِف تصادُمًا وتنافُرًا بين النقد الإسلامي والمناهج العربيَّة الحديثة والمُعاصِرة في" العلمانيَّة"، وهي الفكر الذي يَذهَب إلى أنَّ الأخلاق لا بُدَّ أنْ تكون لصالح البشر في هذه الحياة، مع استِبعاد كلِّ الاعتِبارات الأخرى المستَمَدَّة من الدِّين، بما في ذلك الإيمان بالله والإيمان بالحياة الأخرى وما إلى ذلك؛ ففي منظور هذا الفكر هناك منهجٌ علمي واحد لجميع الظواهر، في ضوئه يَتِمُّ تفسير كلِّ شيءٍ، فالإنسان - كلُّ إنسان - يُمكِن تفسيرُه بما هو غير إنساني؛ أي: من خِلال القوانين الماديَّة والطبيعيَّة العامَّة التي تَجرِي على جميع الأشياء، وجميع المظاهِر.

فالاقتصادُ والسياسة والفلسفة كلُّ ذلك نشاطٌ فكريٌّ لا يُمكِن الحكم عليه بمعايير دينيَّة أو أخلاقيَّة أو إنسانيَّة خارجة عنه - وكذلك سائِرُ الفنون ومنها الأدب - يجبُ صبغُه بصبغةٍ علمانيَّة ماديَّة غير مقدّسة، بحيث يُصبِح مستقلاًّ ليستْ به مرجعيَّة دينيَّة أو أخلاقيَّة أو روحيَّة

ومن الطبيعي أنْ يكون موقفُ النَّقد الإسلامي وقبله الأدب الإسلامي موقفًا رافضًا مُعارِضًا للفكر العلماني؛ لأنَّه فكرٌ يُناقِض الإسلام الذي هو دين الإيمان بالله وبالحياة الأخرى، وبالقِيَم الأخلاقيَّة والفضائل العُليَا، ولا يقوم بالنَّظرة الماديَّة الأحاديَّة إلى العالم والحياة، فالإنسان - من الوجهة الإسلاميَّة - مادَّة وروح معًا، إنَّه" قبضةٌ من طين الأرض، ونفخةٌ من روح الله، غير مُنفَصلٍ بأحد عنصرَيْه عن عنصره الآخَر، وبهذه الطبيعة المزدَوَجة يُحقِّق رسالته على الأرض.

أمَّا من الوجهة التطبيقيَّة، فإنَّ الأمرَ يكتَسِي الصعوبةَ نفسَها؛ وذلك لأنَّ بعضَ المناهج يقول أصحابُها بعزْل النصِّ، وبعض المناهِج يقول أصحابها بعدَم عزلِه، وهذه مُعضِلة هذه المناهج على صَعِيد التَّطبِيق.

وهذا الاختِلاف راجعٌ - في الواقع - إلى الموقف من ثنائيَّة: الداخل - الخارج، فقد انقَسَم البنيويُّون بخصوص هذه الثنائيَّة إلى طائفتَيْن:

أ- طائفةٌ ذهبَتْ إلى أنَّ العلاقة بين طرفَيْها إنما هي علاقة انفِصام، وهذا ما نجدُه في المنهج الأسلوبي، والمنهج البنيوي عند الشكلانيِّين الرُّوس.

فالنقدُ الأدبيُّ في هذا المنهج عليه أنْ يُواجِه الآثار الأدبيَّة نفسها لا ظروفها الخارجيَّة التي أدَّت إلى إنتاجها، وهذا معنى قول جاكبسون" :إنَّ هدَف علم الأدب ليس الأدب في عمومه، وإنما أدبيَّته؛ أي: تلك العناصر المحدَّدة التي تَجعَل منه عملاً أدبيًّا.[5]"

ومن هنا يَرفُض أصحابُ هذا المنهج العلومَ المُجاوِرة للأدب؛ مثل: علم النفس، وعلم الاجتماع، والتاريخ الثقافي، على اعتِبار أنَّ هذه العلوم تُشكِّل عَوائِق في مُواجَهة الأثَر الأدبي وتحليله.

وقد جاء هذا الاتِّجاه من تَأثِير الفكر العلماني المادي الذي قال بعلمَنَة الأدب - كما رأَيْنا - بحيث يُصبِح مُستَقلاً عن أيَّة مرجعيَّة؛ كالظُّروف الاقتصاديَّة والاجتماعيَّة والسياسيَّة، ومنه أيضًا جاءَ الكلام عن" الفن للفن"، و"الأدب للأدب"، و"أدبيَّة الأدب"، فالمهمُّ في العمل الأدبي هو جَمال الشكل؛ أي: جمال اللغة والأسلوب، وليس جمال المضمون.

ولا شَكَّ أنَّ الفلسفة الجماليَّة عند كانط كان لها تأثيرٌ كبيرٌ في مَفاهِيم المنهج الأسلوبي والمنهج البنيوي الشكلاني؛ إذ هي فلسفةٌ شكليَّةٌ، تَظهَر خطورَتُها في إيلاء الشكل كل الأهميَّة، وتجريده من كلِّ غاية، وفي هذا - كما قرَّر أحدُ النقَّاد - ما فيه من خَطَرٍ على الفنِّ نفسه؛ حيث الجمال المَحْضُ عند كانط لا يتمثَّل في سوى الشكل المَحْضِ الذي يختَفِي منه كلُّ مضمون كالنَّقش والموسيقا.[6]

ب- وذهبت طائفةٌ أخرى إلى أنَّ العلاقة بين الداخل والخارج إنما هي علاقة تواصُل، وهذا ما نجدُه في المنهج البنيوي الماركسي الذي لا يشغل أصحابه أنفسهم بالبحث في جمال الشكل في العمل الأدبي، وإنما يسعَوْن إلى البحث في المضمون ويعطونه الأولويَّة، وليس مطلق مضمون، فهم يحبُّون أنْ يكون الأثَر الأدبي مُصوِّرًا للصِّراع الطبقي، مُلتزمًا بقضايا الطبقة" البروليتارية"، داعيًا إلى التكتُّل فيما بينها مِن أجْل أنْ تستردَّ حقوقها من الطبقة" البرجوازيَّة"، ويصبح العالم كلُّه اشتراكيًّا شيوعيًّا.

وقد تطوَّر المنهَج البنيوي الماركسي؛ إذ أنجَبَ البنيويَّة التكوينيَّة أو التوليديَّة علي حَدِّ قول" جولدمان "وهي في الواقع المدرسة الهيجليَّة الجديدة في النقد الماركسي، وموضوعها دراسة بنيَة النص دراسةً تَكشِف عن بنيَة الفكر والعالم؛ بمعنى: أنها تركِّز على الكيفيَّة التي تتولَّد بها أو تتكوَّن بها البنيَة الفكريَّة عمومًا - ومعها الأدب - من الأوضاع التاريخيَّة والاقتصاديَّة والاجتماعيَّة.

ومن هنا فإنَّ هذا المنهج كسابِقِه لا يَفصِل بين الداخل والخارج، وإنما يلحُّ أكثر من ذي قبل على البحث في خلق الوجود المادي للمَضمُون الفكري في الأدب.

وإذا كان المنهَج البنيوي الشكلاني والمنهج البنيوي الماركسي بشقَّيْه يختَلِفان في علاقة النصِّ بالخارج المتمثِّل في المرجع الاجتماعي والسياسي - فإنهما يتَّفقان معًا على" عزل النصِّ عن صاحبه"، وقد كانَت الرَّغبة التي عبَّر بها" رولان بارت "في بتْر الأدب عن الفرد [شعارًا يَجمَع البنيويِّين على اختِلاف مَشارِبهم واتِّجاهاتهم.

وتَرفُض البنيويَّة - إلى جانب ما مَرَّ - ذات الناقد؛ إذ تُنكِر الذوق، وتُنكِر المعياريَّة وما يتَّصِل بذلك من أحكامٍ تقييميَّة، كما تَرفُض العَواطِف والانفِعالات في العمل الأدبي

.

ومن المؤكَّد أنَّ مَوقِف النَّقد الإسلامي من عَزْلِ النصِّ عن سِياقِه أو عدَم عزلِه لن يكونَ إلاَّ مُخالِفًا ومُبايِنًا؛ لأنَّ العمَل الأدبي الذي يقوله المُبدِع - شاعرًا كان أو كاتبًا - لا يقولُه باعتِبارِه فردًا مَعزُولاً عن غيره، وإنما باعتِباره فردًا يترَعرَع ويتكوَّن في وسطٍ اجتماعي، ويُبدِع بلغة الجماعة، فاللُّغة - كما يقول دي سوسير" :- ذات طابع اجتماعي.

وبالإضافة إلى هذا، فإنَّ موقف النقد الإسلامي يَزداد قطيعةً لفكرة" عزل النص"؛ إذ يتعلَّق الأمرُ بتَحلِيل النص القرآني وتفسيره؛ حيث لا يُمكِن بأيِّ حالٍ من الأحوال القولُ بعزل هذا النص عن سِياقه، وهو ما يُسمَّى بأسباب النُّزول التي تُعِين القارئ والمتلقِّي عمومًا على فهْم كتاب الله فهمًا صحيحًا."

وفيما يتَّصِل بـ"عزل النص عن صاحبه"، فإنَّ النقد الإسلامي يَرفُض القول به رفضًا قاطعًا أيضًا؛ لأنَّه - في الواقع - هروبٌ من الذَّات الفرديَّة بمعنى الكيان الواعي الشخصي الحافز، ومن هنا فإنَّه يُفضِي إلى علاقات غير إنسانيَّة، ويُؤدِّي إلى" قتل الإنسان"، إذا اعتَبَرنا عبارة" غارودي "ونقَلناها من الفلسفة إلى النقد

إنَّ العمل الأدبي تعبيرٌ عن تجرِبة الأديب التي تُكوِّنها مختلف قُواه الواعِيةِ وغير الواعِية، وهذا يَعنِي: أنَّ التكوينَ النفسي والاجتماعي والعقدي والبيئي سيتَسَرَّب إلى عمله، ومِن ثَمَّ فإنَّ إضاءة النقد لهذا العمل اعتِمادًا على المرجعيَّات المذكورة أمرٌ ضروري لفَهْم الأثر الأدبي.

وفوقَ هذا، فإنَّ النقد الإسلامي لا يُمكِن أبدًا أنْ يَقبَل فكرة" عزل النص عن صاحبه "عندما يتعلَّق الأمر بالنص القرآني، فمجرَّد التفكير في هذا يُؤدِّي إلى إفساد العقيدة واختِلافها؛ لأنَّ القرآن كلامُ الله المنزَّل على رسوله الكريم، والمُعجِز بنظمه وبَيانه في كلِّ زمان ومكان، لا يَأتِيه الباطل من بين يدَيْه ولا من خلفه؛ لأنَّه من لَدُنْ بديع السماوات والأرض، وخالق الإنسان والحياة.

وبالإضافة إلى هذا، فإنَّ الدِّين السماوي من وجهة نظَر النقد الإسلامي ليس وليد المادَّة التاريخيَّة - كما تقول البنيويَّة الماركسيَّة والعلمانيَّة - وإنما اقتضَتْه الحكمةُ الإلهيَّة في مختلف الأزمنة والأمكنة، بهدَف تصحيح العلاقة بين الإنسان وخالِقِه من جِهة، وبين الإنسان وأخيه الإنسان من جِهة أخرى.

وشيء آخر، وهو أنَّ وظيفة الأدب في النقد الإسلامي إنسانيَّة، تهتمُّ بالحريَّة والعدالة والمساواة والأخوَّة بين جميع البشر، ولا تنحَصِر - كما هو الأمر في المنهج البنيوي الماركسي - في الدِّفاع عن الطَّبَقة الكادِحة المُناضِلة، والتعبير عن حقوقها، وفضْح عُيُوب الطبقة البرجوازيَّة، فهذا من شأنه أنْ يُؤدِّي إلى الصِّراع والتناحُر بين الأيديولوجيتين، وإلى حربٍ باردة قد تُدمِّر الحضارة الإنسانيَّة، ولا تُبقِي على شيءٍ منها.

والنقد الإسلامي في مثل هذه الأمور يَرَى أنَّ الاحتِكام إلى العدل والمساواة بين الناس في الحقوق والواجبات مِن شأنه أنْ يُقرِّب بين الطبقات الاجتماعيَّة ويَقُودها إلى ما فيه خير ومَصلَحة الجميع.

2- المناهج النقدية وتعاملها مع النصوص

يجب أنْ نعرف أنَّ المناهج الحديثة التي تَناوَلت النصَّ من الداخل وهي المتفرِّعة من لسانيَّات دي سوسير كالسيميائيَّات والأسلوبيَّة والبنيويَّة تنطَلِق في عمليَّة التحليل من تحديد بنية النص الدلاليَّة، بحيث يضَع الناقدُ يدَه على البِنَى الدلاليَّة الكُبرَى والبِنَى الدلاليَّة الصُّغرى التي تنضَوِي تحتَها، وهو أمرٌ ليس بالسهل؛ إذ يَحتاج إلى قِراءات عديدة، بعضها مباشر، وبعضها تأويلي، وبعضها رمزي، فهذا هو المدخَلُ الضروري للتحليل كما في المنهج البنيوي خاصَّة، وهو يُوضِّح أنَّ البحث في هذه المناهج ينطَلِق من المضمون إلى الشَّكل وليس العكس.

وبعد أنْ يقبض الناقد على البِنَى الدلاليَّة يتتبَّعها في النصِّ الأدبي تتبُّعًا سياقيًّا، أو أفقيًّا وصفيًّا، بحيث يَقِفُ على العلاقات بين الوحدات اللغويَّة داخِل النَّسَق الأصغر وهو الجملة، ويَبحَث في الأنساق الصُّغرى في علاقتها بعضها ببعض، ويَفعَل الشيءَ نفسَه بالتضادِّ الثنائي بين الوحدات الدلاليَّة، بحيث يُناقِش العلاقة بين الثنائيَّات الأساسيَّة من جهة، والثنائيَّات الفرعيَّة من أخرى، ولا يَنسَى أنْ ينظُر في العلاقة بين الثنائيَّات والمُبدِع، وأنْ يتنبَّه للعلاقة بين عناصر السِّياق والعناصر الاستِدلاليَّة التي لا يقع الاختيارُ عليها.

وفوقَ هذا فإنَّ الناقد من وجهة نظَر البنيويَّة التكوينيَّة لا يغفل العلاقة بين نسَق النص الفردي والنَّسق الأكبر؛ إذ النصُّ لا يُمكِن أنْ يكون نسقًا مُستقلاًّ كما رأينا سابقًا، ولكنَّه يُمثِّل بنيةً نظيرة لأنساقٍ وبِنَى أخرى غير أدبيَّة يُمثِّل جميعُها الثقافة التي أنتَجَت النصَّ.

وإلى جانِب الكَشف عن العلاقات، فإنَّ الناقد يَكشِف كذلك عن عَناصِر البنية ومُستَوياتها المختلفة من: صوتيَّة، ومعجميَّة، ونحويَّة، وبلاغيَّة، ورمزيَّة؛ بحيث يَظهَر ما يَزخَر به النصُّ من تَنغِيمٍ وإيقاع، ويبرز خصائص كلماته وحيويَّتها، ويدرس طرُق تكوين الجُمَل، ويميط النِّقاب عمَّا فيه من تغييرٍ أو انحِراف عن الاستِعمال العاري الحرفي.

ويَكشِف الناقدُ في التحليل الداخِلي - إلى جانب ما سبَق - الخاصيَّة الجماليَّة في النص الأدبي، وتكون هذه الخاصيَّة ماثلةً في بنية تركيب الجُمَل والصُّوَر والرُّموز والمُفرَدات المُعجَميَّة، وفي الحروف والأصوات والتوازُنات والتقابُلات التي تشعُّ بدلالات النصِّ.

وبعد مرحلة التحليل تأتي مرحلة التركيب؛ وهو ضَمُّ وتجميع ما فرَّقَه التحليل، بحيث يُؤلِّف الناقد بين المتشابِهات، ممَّا يَسمَح بالوصول إلى القَوانين الكبرى التي تَكمُن وراءَ إبداع النص الأدبي.

و موقف النقد الإسلامي من تحليل النص وتركيبه - كما سبق - لن يكون إلاَّ موقف القبول والتواصُل؛ لأنَّ تناوُل لغة النقد تناوُلاً علميًّا موضوعيًّا أمرٌ مطلوبٌ ولا بُدَّ منه في النقد التطبيقي؛ لما يُؤدِّي إليه من كشف الدلالة، وبَيان للأسرار الخفيَّة التي يَزخَر بها العمل الأدبي.

ومُجمَل القول:

إنَّ موقف النقد الإسلامي من المناهج الغربيَّة المُعاصِرة ليس واحدًا، وإنما هو موقفٌ يترجَّح بين الاتِّصال والانفِصال، أو القَبول والرَّفض، فأمَّا الاتِّصال فيَتَجلَّى في ضرورة انفِتاح النقد الإسلامي على تقنيات المناهج الغربيَّة وأدواتها في تحليل النصِّ الأدبي تحليلاً علميًّا موضوعيًّا يَقُوم على استِنطاق لغته والتعمُّق فيها من أجل الوصول إلى دلالتها الخفيَّة العميقة .

وأمَّا الانفِصام فيَظهَر بجَلاءٍ في رفْض النقد الإسلامي لفكرة" عزل النص "بجميع ألوانها، كما يَظهَر في التحفُّظ بخصوص الخلفيَّات المتمثِّلة في العلمانيَّة والفلسفة الماديَّة وسائر الأيديولوجيَّات التي لا تُلقِي للدين بالاً، ولا تكتَرِث بالأخلاق والقِيَم الإنسانيَّة النبيلة.

المحاضرة الثامنة : فنون النثر في الأدب الإسلامي:

كان من الطبيعي أن يكون الشعر والخطابة أول الأجناس الأدبية التي تصطبغ بفلسفة التصور الإسلامي لشيوعهما كفنين في صدر الإسلام ، وهو ما استخدمه النبي صلى الله عليه وسلم في الدعوة إلى الإسلام والدفاع عن حياضه ومهاجمة أعدائه فاتخذ شعراء جعلهم في الصفوف الأولى للدعوة ومناجزة الخصوم.

وإذا نظرنا إلى باقي الأجناس الأدبية مثل القصة والرواية والمسرح والمقالة ، فإننا نجد أن في كل واحد منها اتجاها إسلاميا واضحا، فلو نظرنا إلى القصة فإننا نجدها حاضرة في النص القرآني بما بث فيه من القصص الكثيرة التي رمست منهجها وفق تصور هذا الدين وهو ماتمثله عدد من كتاب القصة الإسلامية المعاصرة مثل علي الطنطاوي ونجيب الكيلاني ومحمد المجذوب وإبراهيم عاصي ، ومحمود مفلح ، ومحمد السيد ، وعبد الرحمان رأفت باشا، وسيد قطب

وفي مجال الرواية نجد عبد المجيد عودت السحار وعلي أحمد باكثير ونجيب الكيلاني وأيمن العتوم ، وأحمد خيري العمري ، وفي المسرحية نجد مسرحيات عماد الدين خليل وأحمد باكثير .

ومما ميز هذه المنجزات النثرية:

- الانطلاق من التصور الإسلامي للكون والإنسان والحياة.
- ربط القصة والرواية والمسرحية بسنن الله الكونية والوقائع الاجتماعية .
- تصوير الحياة الحياة البشرية في شتى مجالاتها وحالاتها كما هي في الواقع من دون تشويه
- تصوير حالات النفس الإنسانية وانفعالاتها وتقلباتها وتصوير القيم الإنسانية في شتى مستوياتها ودلالاتها.
- البعد عن الإسفاف والابتذال والقبح الذي تقع فيه تلك المنجزات غير الإسلامية.

كما أننا نجد أن تلك القصص والروايات تكون وفق الاتي:

- منجزات مستمدة من القرآن الكريم: مثلما فعل عبد المجيد جودت السحار في عدد من قصصه منها " إبراهيم أبو الأنبياء" و " المسيح عيسى بن مريم " و " محمد رسول الله والذين معه" ، ومافعل محمد المجذوب في صته " الشعب التائه " التي سجل فيها قصة موسى عليه السلام منذ لحظة خروجه من مصر حتى دخول قومه في التيه في سيناء.
- منجزات مستمدة من الحديث النبوي الشريف: حول الكثير من الأدباء تلك القصص القصيرة مثلا التي وردت في الحديث النبوي إلى نصوص طويلة مثلما فعل محمد علي حناوي الذي أصدر حلقتين من سلسلة القصص النبوي الشريف ، تناول فيها قصة أصحاب الأخدود وجعلها بعنوان " نار وإنسان " .
- المنجزات المستمدة من التاريخ الإسلامي : بما استمده الكتاب من السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي بشكل عام ، كما فعل نجيب الكيلاني في رواية " نور الله " الذي تصور الصراع الذي خاضته الدعوة الإسلامية ضد اليهود ومكائدهم في بني قريظة وخيبر وكما فعل عبد الحميد جودت السحار في رواية " أهل بيتي" التي بدأها منذ السنة الثامنة للهجرة وانتهى بهخا إلى مابعد مقتل الحسين رضي الله عنه ، وفي رواية " أبي ذر الغفاري " حياة الحسين " " بلا مؤذن رسول الله '.

كما كتب عبد الحليم عبد الله رواية " الباحث عن الحقيقة " والتي ركز فيها على التجربة الروحية لسلمان الفارسي وكتب نجيب الكيلاني رواية " قاتل حمزة " رصد فيها حياة وحشي وما مرّ فيها من تغيرات وصراع.

- القصص المستمدة من الواقع المعاصر :

اتجه عدد من الكتاب إلى النظر في الواقع المعاصر فعرضوا تجربة المسلم في المجتمع الحديث ، وصوروا واقع السملين في هذا العصر اجتماعيا وثقافيا وقضايا مختلفة

وفي ذلك نجد رواية " الظل الأسود " نجيب الكيلاني الصراع في الحبشة بين الإسلام والمد الصليبي ، ورواية" ليالي تركستان " التي سجل فيها مأساة أرض تركستان التي دار فيها صراع رهيب بين الدولتين ، ورواية " عمالقة الشمال " التي صور فيها واقع الإسلام والمسلمين في نجيريا خلال الحرب الأهلية 1965مو1970، وغيرها من الروايات مثل عذراء جاكرتا "رمضان حبيبي" و " عمر يظهر في القدس " التي تصور نكبة 1967 و " ملكة العنب "

ومنها نجد رحلة إلى الله ، للكيلاني و " القابضون على الجمر " لمحمد أنور رياض

كما عالجت تلك المنجزات مشكلة امرأة والاضطهاد والعبودية والزواج وغيرها من المواضع التي عالجها الأديب من منظور إسلامي